مناقشات (١)

المثقف حين يتحول إلى مفتٍ عام!

نضال بشارة*

سأحاول في هذه المقالة أن أبيّن كيف بدأ المثقف يتحول إلى مفتٍ عام، وهي طامةٌ كبرى في حياتنا الثقافية وأخطر بكثير من حضور أي مؤتمر أو ندوة مشبوهة. وسأنطلق فيما سأكتبه من مقالة للدكتور علي حرب بعنوان: «نقد المثقف»[١]، وهي مقالة حاول فيها «تعرية المسبّقات التي توجّه رؤية المثقف لذاته وللغير وللمجتمع، أو فضح البداهات التي تتوارى خلف طروحاته وبياناته أو خلف مواقفه واهتماماته».

القطرية وفصل أدونيس

أثيرت مؤخراً ردود أفعال كثيرة حول قرار فصل أدونيس وهشام الدجاني من اتحاد الكتاب العرب في سوريا. ومن تلك الردود ما أثاره د. جمال الدين الخضور في صحيفة **الأسبوع الأدبي**[٢]. فقد كتب في بداية مقالته: «إذا كان يحق لأحد، بداية ونهاية، مناقشة ما أصبح يسمى "قضية أدونيس" فَهُمْ بالتحديد أعضاء اتحاد الكتاب العرب في سورية الذين اتخذوا القرار بفصله استناداً على مواد النظام الداخلي؛ وبالتالي فهم الجديرون بمناقشة قرارهم والدفاع عنه. أما مثقفو الاغتراب السياحي والذين انبروا للدفاع عن أدونيس، فأنا متأكد بأنهم لم يقرأوا ولا كلمة واحدة من نقاشنا للخطاب الأدونيسي». وكتب في موضع ثانٍ: «وأعتقد أن حاملي لواء الدفاع عن ثقافة التطبيع لم يقرأوا نقاشنا لمنظومة أدونيس الفكرية لا في **الآداب** ولا في غيرها من الدوريات الأدبية والثقافية العربية. فأما السبب في ذلك فهو الجهل بما كُتب حول القضية الأدونيسية بما في ذلك الجهل بما يطرحه أدونيس؛ أو أن السبب هو التقاطع معه في منظومته الفكرية التي يطرحها». وفي موضع آخر من المقالة نفسها، كتب: «وأعتقد أن أحمد بزّون – من صحيفة **السفير** – لم يقرأ تشريحنا المعرفي والثقافي للخطاب الأدونيسي والمنشور في مجلة **الآداب** البيروتية عدد أيلول ٩٤ والموسوم بـ"مجزرة الثقافة العربية من الإله سين وحتى إله غرناطة"؛ كما لم يقرأ – وأنا متأكد من ذلك – حوارنا على صفحات مجلة **الطريق** حول مفهوم الأقلمة والمشروع النهضوي العربي في أعداد ثلاثة من المجلة لعام ٩٤.»

في تلك المقتطفات من مقالة د. الخضور، عدة نقاط تثير الجدل.

أولاً: النزعة القطرية التي يتسمُ به كلام د. الخضور في قوله إنّ من حق اتحاد الكتاب «العرب» وحده مناقشةَ قضية أدونيس. وقد وضعتُ كلمة «العرب» ضمن هلالين صغيرين لأؤكد على صفة هذا الاتحاد وإنْ كفرع خاص بسوريا. ومن جهة ثانية فلمّا كان هذا الاتحاد اتحاداً للكتّاب العرب، فإني أجد من حق أي كاتب ينتمي إلى العروبة أن يناقش قضية أي كاتب عربي ويدافع عنه أو يهاجمه .. وأعود لأؤكّد على قومية هذا الاتحاد من خلال نظامه الداخلي، مقتطفاً ما جاء في مقالة د. عبدالله أبو هيف في **الأسبوع الأدبي**[٣]، إذ يقول: «إنّ الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، اقتناعاً منه بأهمية إسهامه في المعركة وفي استكمال الشخصية العربية الموحدة، يؤكد تمسكه بالأهداف الكبرى للجماهير العربية وعلى رأسها المشاركة في النضال لتحرير الوطن العربي من الاحتلال والتبعية وجميع أشكال السيطرة الامبريالية والتجزئة والدعوات الإقليمية والانعزالية والطائفية من أجل تحقيق علاقات التعاون الايجابي بين مختلف شعوب العالم ومقاومة سياسة الغزو والعدوان ونهب الثروات». ويقول د. علي عقلة عرسان في مقابلة معه بصحيفة **الشرق الأوسط**[٤]: «لن نتنازل عن تمسكنا بالدعوة لوحدة الأمة، لأننا نؤمن أنه لا يوجد خلاص قطري على الإطلاق في عصر التكتلات الكبيرة والتقدم الهائل للعلم والتقانة».

وتعقيباً على ما اقتطفتُ أقول بطريقة د. الخضور نفسها: هل اطلّعتَ

---

* «عزيزي د. سماح، بعد قراءتي لعدد **الآداب** ٣/٤، وخاصة ما كتبْتَهُ تجاه ما حدث في اتحاد الكتاب [العرب في سورية]، تشجعتُ في إرسال مساهمتي التي كتبتُها قبل قراءتي لمقالكم (...). أتمنى قبولها للمنبر الذي يحظى بثقة جميع الشرفاء من الكتاب؛ فهي المنبر الأوحد لاختلاف الآراء ومناقشتها، وهي تمثّل الديموقراطية الحقة في حياتنا الثقافية...» (نضال).

١ – **السفير** (٢٤/٣/٩٥).

٢ – عدد ٤٥٥/٩٥.

٣ – أعيد نشر الحوار في **الاسبوع الادبي** /٤٥٢/٩٥.

٤ – ٤٥١ / ٩٥.

على النظام الداخلي للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، وعلى ما يقوله رئيس الاتحاد في سوريا د. عرسان الذي نطق بما يهدف إليه هذا الاتحاد؟

ثانياً: أقف عند عبارة «مثقفي الاغتراب السياحي». وأتساءل هل يمكن أن ندرج اسم المفكر العربي هادي العلوي ضمن تلك القائمة مادام قد أقام في دولة الصين مدة لا بأس بها، كمنفى اختياري أو إجباري. أم أنه يحق للهادي العلوي وحده التكلم في قضية أدونيس لأنه مطلعٌ على نقاشك للخطاب الادونيسي، مع جليل احترامنا لكل ما كتبه؟

ثالثاً: العبارة التي يرددها كثيراً د. الخضور: «لم يقرأوا ولا كلمة من نقاشنا للخطاب الأدونيسي»، بصياغاتها المختلفة. فمن هذه الأنا المتضخمة لدى د. الخضور، والتي جعلته يُسفّه كلَّ من كتب في قضية أدونيس لأنهم لم يطّلعوا على كتاباته ومقالاته وتشريحاته، انبثق عنوانُ مقالتي هذه. فأنا أرى أن قضية أدونيس قد تحولت على يديه إلى قضية دينية تخص مذهباً ما، ود. الخضور هو صاحب الإفتاء الوحيد فيها. وكتعليق على هذه النقطة أوردُ ما كتبه الاستاذ علي حرب في مقالته الآنفة الذكر: «أما فوكو فإنه ينعى "المثقف الكوني" مالكَ الحقيقة وممثلَ الكل، معتبراً أنه ولى الزمن الذي كان المثقف يقول فيه الحقيقةَ للناس. فهو لم يعد يعرفها أكثر منهم، بل لأن الحقيقة، بحسب مفهوم فوكو لها، لا تقال ولا تُعرف بمعزل عن استراتيجيات السلطة وآلياتها في الاستبعاد والتلاعب والتعتيم».

رابعاً: الدعاية الضخمة التي يجيدها د. الخضور من خلال ذكره لمقالاته المنشورة في الصحف والمجلات دفعةً واحدة. ويؤكّد كلامي إشارتُه إلى مقالته المفصّلة التي ستنشر في مجلة **الآداب** عدد آذار ٩٥. فأمام هذه الإشارة لا بد أن يتساءل القارئ: كيف يناقش د. الخضور الآخرين ويريد إقناعهم بأفكار له لم تُنشر بعد؟. وهذه ليست المرة الأولى التي يشير فيها إلى مادة له مازالت في طور النشر؛ فقد فعل ذلك في مجلة **الآداب**[٥]، حينما نوّه إلى دراسةٍ له وُضعتْ بين يديْ رئيس تحرير مجلة **الطريق** ولا يُعلم مصيرها بعد.

مواقف مضادة

وأعود إلى النقطة الأولى التي وقفت عندها، مستغرباً هذا الحماسَ الشديد الذي يبديه د. الخضور في دفاعه المستميت عن حقوق اتحاد الكتاب في نقاش قضية أدونيس. وأشير إلى أن عضوية د. الخضور في اتحاد الكتاب، وحسب تصريح صحيفة **الاسبوع الادبي**[٦] عن أسماء الأعضاء الجدد، قد كانت في كانون الثاني عام ٩٥ رغم امتلاكه روايةً صادرة عام ١٩٨٦ وديوان شعر صدر عام ١٩٩٢ – .. في حين أن د. الخضور قبِلَ انتسابه للاتحاد ولم يذكر كلمة طيبة واحدة في حق الاتحاد (مؤسسة ونشاطاً وكتباً وإعلاماً) بل على العكس كان لا يتوانى عن السخرية من كلٍّ ما ذكرتُ.

وأتساءل: هل من أسباب ذلك رفضُ طلب انتسابه إلى الاتحاد مرتين؟! ولكي أدلل على مواقفه من اتحاد الكتاب اقتطف ماكتبه في مقالة له في مجلة **فتح**[٧] ضمن حديثه عن المثقفين وتنوعهم؛ فهو يقول عن بعضهم: «فإنّ البعض الآخر منخرط في فعل المنظومة السائدة، وينظّر لفعل التصدي (حسب رأيه) – والأقواس للخضور – من مكتب يتّسع لسكن عشر عائلات تسكن العراء، وفيه من الخشب ما يسلّح عشرات المقاتلين يطمحون للقيام بعملية استشهادية، ويصرف في الفنادق (...) ما يطبع عشرات الكتب الجادة التي تموت مع أصحابها بانتظار ضوء بعيد، ويركب سيارة يعادل ثمنها ثلاثمائة ألف كيلوغرام من الخبز، أي ما يطعم ثلاثمائة ألف مقاتل لأربعة أيام متتالية. وبالرغم من ذلك نراه أو نسمعه ينظّر عن ضرورة تعبئة الجماهير الفقيرة للتصدي للانهيار، وتعبئة المثقفين في أنساق ثقافية عمودية ضمن الثقافة العربية».

وأعتقد أن صاحب ذلك المكتب الذي قصده د. الخضور في كلامه لا يخفى على أحد، وأولهم صاحب المكتب نفسه فيما لو عاد بذاكرته أشهراً قليلة. تلك هي نظرة د. الخضور إلى رجل المؤسسة الثقافية، والذي وسمه في مقالة ثانية «بالمثقف الميت» (راجع مجلة **فتح**)[٨].

ميثاق الشرف

ثمة موقف آخر للدكتور الخضور مناهضٌ لاتحاد الكتاب، طرحه في مقالة أخرى له في مجلة **فتح**[٩] تحت عنوان «المثقف والخيانة». فقد كتب يقول: «عندما حاول البعض أن يستيقظ وجد نفسه منظّراً جديداً لثقافات متعددة. فبدأ بتقسيم الثقافة العربية إلى إسلامية وغير إسلامية مُنتَجة من قبل الطوائف الأخرى، وجاهلية (قبل إسلامية) [هنا يُقصد بكلام الدكتور الخضور كما أشار ضمن مقالته: ميثاقُ الشرف الذي وقّع عليه الأدباءُ ضمن المؤتمر العام للاتحاد المنعقد في كانون أول عمان ٩٣]. وبدأ كلٌّ منا يفتش إلى أي الثقافات ينتمي، علماً أن البحث والحفر يجب أن يكون موجهاً لتأكيد وحدة الثقافة العربية من أبعد نقطة في الخليج العربي إلى أبعدها في موريتانيا مع إثبات أن البناء المعرفي التطوري لهذه الثقافة لا يقبل إطلاقاً التقسيمات القسرية التي تروّج لثقافات الشروخات العمودية والبنائية في المجتمع العربي. وبدلاً من البحث الدؤوب والحفر المتشعب الجوانب معرفياً وعبر السياقات التاريخية لإنتاج بُنى ثقافة ممنّعة ضد السقوط على أقل تقدير، ركضتْ معادلاتنا الإبداعية والثقافية خلف الأحداث، في نفس الوقت الذي كانت فيه جماهيرُ الأمة تركض خلف اللقمة أو التمائم لتحمي نفسها من السحق البيولوجي في مواجهة عدو أمريكي – صهيوني يعتبر أن تركيع هذه الأمة هو المهمة الأولى الملقاة على

---

٥ – عدد مزدوج / آب وايلول ٩٤ .
٦ – ٤٢٥ / كانون الثاني ٩٥.
٧ – ٣٠٢ .
٨ – ٣٠٩ .
٩ – ٣٠٤ / ٩٤.

عاتقه...».

أمام تلك الدلائل أستغرب كيف انضم د. الخضور إلى عضوية اتحاد الكتاب وبات يدافع عنه بشراسة، وأستغرب كذلك تأييدَه لقرار فصل أدونيس. ترى هل ينسى ما يكتب؟

فصل أدونيس

وهنا انتقل إلى موقفه من قرار فصل أدونيس وبالأحرى إلى هجومه المتمثل في كل مقالاته التي تسنّى لي قراءتها. وببساطة أتساءل: ألا يلتقي ما أخذه على ميثاق الشرف الموقّع في عمان كما أوردنا منذ قليل، مع ما أخذه على أدونيس في خطابه الغرناطوي حيث قال هذا الأخير إنّ «ثقافتنا تركيبية»... خصوصاً وأن د. الخضور وقف عند هذا التعبير الأدونيسي مطولاً في مقالة له بمجلة **الآداب**؟![١٠]

أما التناقض في قضية التطبيع فنجده صارخاً في كتابات د. الخضور. فقد كتب مثلاً في مجلة **الآداب**[١١] يقول: «الهوية القومية العربية منجزة تاريخياً.. أي أنها قائمة في التاريخ، في البناء الأناسي الثقافي العربي عبر وحدة مكوّنات هذا البناء. فالمخيال الاجتماعي واحد لعموم السّاحة العربية، والذاكرة الجمعيّة واحدة، واللّغة واحدة، والسيكولوجيا الجمعيّة واحدة، والتاريخ الجغرافي واحد، والجغرافية التاريخية واحدة. وكل ذلك يتحصّن في عمق تاريخي يمتدّ لآلاف السنين، وكلّ ذلك لم يتوفر إطلاقاً في المكوّنات التاريخية للهوية القومية للأمم والشعوب الأخرى».

وكتب في مجلة **فتح**[١٢]: «... العمق التاريخي والاتساع الحضاري الذي يدجج إنساننا العربي هو الذي يدفعه ويمكنّه من اختزال الزمن الاجتماعي عبر مفهومين: أولهما، القدرة الخارقة على التراكم الكيفي والكمي بالمفهوم التقني والمعرفي لما يمكن أن نسميه الدولة العربية الواحدة المدنية بأفق حضاري شامل. وثانيهما، القدرة على اختزال الزمن الاجتماعي بمفهوم المواجهة. فالشعب المدرّع بتلك القيم الحضارية العريقة هو الذي يدفع أبناءه لمواجهات لا تستطيع الشعوب الأخرى خوضها».

ولكنه كتب في مجلة **فتح**[١٣]: ...«في واقع الهزيمة المرّة التي شرّشتْ في كل معالم دنيانا، نحن العرب، ابتداءً من هزيمة الجغرافية وانزلاقها وانتقالها إلى التشظي والتفتت، مروراً باستقالة التاريخ العربي من فعله الحضاري والنيّر في مسار البشرية في السنين الأخيرة وصولاً إلى أمركة وصهينة كل البنى الاجتماعية وحتى السيكولوجيا الجمعيّة والفردية».
وكتب أيضاً في مجلة **الآداب**[١٤]: «يبدو أن منظومة الثقافة أصبحت قابلة للاختراق العلني المباشر على طريق التفتت والتشظي ...».

هكذا وببساطة يبدو للخضور أن منظومتنا أصبحت قابلة للاختراق. إذاً أين ذهب تحصّنها في العمق التاريخي الممتد لآلاف السنين – حسب كلامه؟ وكيف من لديه هذا العمقُ التاريخي والاتساع الحضاري الذي يدجج إنساننا العربي .. الى آخر كلامه، تتأمرك وتتصهين بناه الاجتماعيةُ وحتى السيكولوجيا الجمعيّة والفردية؟!

في رأيي أن تلك المحاولات التي حدثت لا تخلّ في بنية منظومتنا الثقافية ولا تجعلها قابلة للاختراق وإن كانت تخدشها. وكثيراً ما أضحك حين أقرأ عبارة «الثقافة هي الحصن الأخير» في مواجهة قضية التطبيع، لأنني أرى فيها الحصن الأول. ومادامت كذلك فلماذا نخاف عليها من مؤتمر هنا أو ندوة هناك أو زيارة قام بها شخص لا يمثل إلاّ نفسه؟

وهنا أتساءل من مثّل أدونيسُ في ندوة غرناطة؟ باعتراف المشجعين لقرار فصله لا يشكل أدونيس مؤسسةً بمفرده: «فالأفراد رغم الأهمية الكبيرة لبعضهم ليسوا مؤسسات – بالمعنى القانوني والاجتماعي والمدني العام للمؤسسات – وليسوا بدلاء لها، بل إنهم جزء منها أو قيمة فيها أو عامل مهم في قيامها وبقائها وتطورها وانتشارها وأهميتها ولكنهم لا يلغونها، ولا يقزّمونها ببقائهم خارجها أو بخروجهم عليها...» (من حوار صحيفة **الشرق الأوسط** مع د. علي عقلة عرسان).

وكتب أدونيس في مقالة توضيحية في **الآداب**[١٥]: «أنا كمثقف وهامشيّ لا أمثل أيّ جهة رسميّة. لكنني معنيّ بالمستوى المبدئي، وبالسلام كمفهوم. أنا مع السلام شرط العدل وضمانات الحرّيات، وكلّ سلام بدون هذا الشرط سلام مؤقّت».

إذاً أدونيس لم يمثل اتحاد الكتاب العرب في سوريا ولم يمثل أي دولة عربية. فلماذا كل هذا الخوف من ندوة غرناطة ولماذا كل هذا الجهد الذي أعطي لهذه القضية؟ أعتقد أنّ هذا الجهد لو استثمر في قضية أخرى لكان هناك فائدة أكبر وأفضل من هذا الإلهام الذي هبط فجأة على الكتاب لينقضوا على أدونيس حتى باتت القضية «قضية أدونيس لا قضية التطبيع» كما أشار إلى هذه النقطة د. عبد الله أبو هيف في **الاسبوع الادبي**[١٦].

التطبيع الثقافي

والكلام عن التطبيع الثقافي يعيدنا إلى كلام أدونيس ضمن توضيحه المنشور في **الآداب**[١٧]: «التطبيع الثقافي في هذا الاطار، عبارة من خارج الثقافة؛ إنها عبارة سياسية – بالدلالة السطحية الإعلامية. بل هي، ثقافياً، عبارة تناقضية – خصوصاً عندما نعني الجوانب الإبداعية من الثقافة؛ فلا

---

١٠ – المزدوج السابق / ٩٤.
١١ – اكتوبر / ٩٤.
١٢ – ٣٠٩ / ٩٤.
١٣ – ٣٠٢ / ٩٣.
١٤ – مزدوج / ٩٤.
١٥ – اكتوبر / ٩٤ .
١٦ – ٤٥٧ / ٩٥.
١٧ – اكتوبر / ٩٤.

تثير الثقافة الإبداعية إلاّ التباينات والتناقضات حتى داخل اللغة الواحدة، والثقافة الواحدة. فالثقافة الخلاّقة إعادات نظر وتساؤلات، واستقصاءات، وزلزلة للمستقر، فكيف تكون تطبيعاً»؟

ويتابع أدونيس: «هكذا أميل إلى القول إنّ الكلام على التطبيع الثقافي بين العرب واسرائيل إيهام. وليست هذه العبارة أكثر من شعار بديل وتعويضي لملء الفراغ الذي كانت تشغله شعاراتٌ لم يبق لها رواج ولا سند واقعي. ولعلّه أن يكون نوعاً من التغطية على التطبيع الآخر: السيّاسي، الاقتصادي، الإعلامي، السياحي، إضافة إلى طرق التواصل الأخرى. إنّه ألُهيةٌ جديدة للكتاب العرب، تبدّد طاقاتهم عبثاً وتمزّقهم».

تلك الإشارة التوضيحية من أدونيس أراها خاصة جداً بالدكتور الخضور. حبذا لو أعاد قراءتها.

عبارات وأسئلة

لا يخفى على أحد أنّ نص الكلمة التي ألقاها أدونيس في ندوة غرناطة قد شُرّحتْ بعضُ عباراتها بتأويلات بعيدة عن القصد الذي ذهب إليه أدونيس. وقد سبق أنْ توقفت عند عبارة أدونيس «ثقافتنا تركيبية». وأما عبارة «تنتمي اسرائيل جغرافيا ...» فأنا أسأل: هذا الكيان الصهيوني المسمى «اسرائيل» الذي نحاوره أو نشتمه أو نحاربه، ألا يشغل حيّزاً جغرافياً في هذه الكرة الأرضية، أم أن الكيان الصهيوني يشغل الأثير؟!

ومن هذا المنطلق أجد نفسي واقفاً أمام ما قالته د. ناديا خوست في صحيفة **الاسبوع الأدبي**(١٨) كردٍ على كاتب «بقعة ضوء» في صحيفة **تشرين** السورية، وكان هذا الكاتب قد اتهم اتحاد الكتاب بغياب الديمقراطية لفصله أدونيس. فردّتْ خوست متسائلة لماذا لم تتجلّ هذه التهمة إلاّ في فصل أدونيس؟

أنا هنا لن أناقش غياب الديمقراطية ولن أرد على أحد، ولكنني سأضع أمام د. خوست نصّ الرسالة التي وجهها المفكر هادي العلوي إلى اتحاد الكتاب يعلن فيها رغبته في الانضمام إليه وذلك عبر مجلة **فتح**(١٩) وأُعيدَ نشرها في صحيفة **الاسبوع الادبي**:(٢٠)

نص الرسالة

«إلى رئاسة اتحاد الكتاب العرب – دمشق

تحية أخوية،

انسجاماً مع الخط النضالي الراهن لاتحادكم المجيد، أتقدم بطلب الانتساب إليه طامعاً بأن أنال شرف العضوية فيه، لكي نناضل معاً: ضد الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة، وضد «اسرائيل» كل «اسرائيل» وضد التطبيع السياسي أولاً .. والتطبيع الثقافي ثانياً».

مع التقدير والاحترام

هادي العلوي

ترى لِمَ لم يتجلّ الخط النضالي لاتحاد الكتاب العرب – دمشق – إلاّ في فصل أدونيس وهشام الدجاني؟ ولماذا لم يتقدم هادي العلوي بطلب عضويته قبل قرار الفصل؟

نقطة أخرى تحتاج إلى التدقيق وذلك في الحوار الآنف الذكر الذي أجرته صحيفة **الشرق الأوسط** مع د. عرسان. فهو يقول: «نحن حين نرفض تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني نرفض الاعتراف بأن لـ «إسرائيل» الحق في أن تصبح – بقوة القهر – جزءاً من النسيج الجغرافي والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والأمني للمنطقة العربية، التي تحمل هويتنا، ولا نقبل أن تسمى «الشرق الأوسط» ليكون لإسرائيل مكان فيها، بل نتمسك بأنها: الوطن العربي – وبلاد الشام – وسورية الطبيعية – وفلسطين العربية...».

كل الحق مع د. عرسان في تأكيده على تمسكنا برفض تسمية منطقتنا العربية بـ «الشرق الأوسط». ولكنه هل انتبه إلى أي صحيفة يتكلم؟ إنها **الشرق الأوسط**، وهي صحيفة عربية! وبموافقته على إعطاء الحوار لهذه الصحيفة، ألا يؤكد لها مصداقيتها كاسم لمشروع يجهدون في تنفيذه، ونجهد في مقاومته؟ هذه الملاحظة أتت من خلال إجابته في الحوار الذي يقرّ فيه «بأننا نشكو من عصر تسود فيه حقائق الإعلام وتتضخم، وتضمر فيه الحقائق أو تغيب». وما صحيفة **الشرق الأوسط** إلاّ من تلك الوسائل الإعلامية المكرسة لتنفيذ مشروع «الشرق الأوسط».

وعودة للدكتورة ناديا خوست التي تحدثتْ عن قرار فصل أدونيس والدجاني بأنّه جاء بتصويت ديمقراطي(٢١). وكنت قد سألت أكثر من شخص حضر الاجتماع الذي اتُّخذ فيه قرارُ الفصل فأفادوني بأن التصويت قد تمّ برفع الأيدي. وهذه الطريقة تذكرني بمشهد مدرسي، حين يسأل المدرس: من حفظ درسه؟ فترتفع أيدٍ وتلتزم الجمودَ الأيدي الباقية. وأسأل: مادام هذا هو التصويت الديمقراطي، فلماذا اختُرِعَتْ صناديقُ الاقتراع؟!

المؤسسة والانتماء

أرجو أن لا يُفهم من كلامي أنني ضد الانتماء إلى اتحاد الكتاب أو ضد نشاطه وأعضائه. بل على العكس: فما زلت أحضر نشاطات الاتحاد وأساهم في انتقاد سلبيات تلك النشاطات مشيداً بما هو جيد، في متابعاتي الصحفية داخل سوريا وخارجها. ومازلت أنشر على صفحات **الاسبوع الأدبي** ومجلة **الموقف الأدبي** كلما أُعطيتُ فرصة للنشر. وأجد نفسي متبنّياً لكلام الشاعر فايز خضور أمين تحرير مجلة **الموقف الأدبي**(٢٢) الذي انتقد طلاقَ المثقف مع مؤسسته حين يقول: «عدم الانتماء.. بات من الشعارات والمقولات المطروحة في هذا العصر، حيث كثر فلاسفته

١٨ – ٤٥٦ / ٩٥.
١٩ – ٣٣٦ / ٩٥.
٢٠ – / ٤٥٦ / ٩٥.
٢١ – المصدر السابق.
٢٢ – ٢٨٢ / ٩٤.

ومنظّروه والصائغون من مريديه الضائعون المستهترون .. فلهم خلاصهم وعليهم قصاصهم .. ولكن الذي يعْنينا، حشدٌ جديد ومتجدد، من الأسئلة المجابة تلقائياً حتى لتكاد تكون بدهية. منها: إلى أي مدى وصل الحوار، ما بين المثقف المنتمي ومؤسسته الانتمائية، بمعناها الثقافي والايديولوجي والاجتماعي؟! .. ونسأل أيضاً، ماذا قدّمت المؤسسة لمثقفيها، وكيف قايض المثقف هذه التقدمة؟! ونسأل: ماذا قدم الأغنياء المنتمون غير المثقفين إلى الفقراء المثقفين المنتمين؟! .. ونسأل ونسأل حتى يتكامل الخطاب ولا نقع في مغالطات التماس الأعذار للمثقف الهاوي، والمثقف المتواري، والمثقف المنشق، والمثقف المتواطئ، والمثقف الداشر .. الخ ..»

ويتابع فايز خضور: «صحيح أننا جميعاً مقصّرون بشكل أو بآخر، مثقفين ومؤسسات. ولكنْ يبقى اللومُ الأكبر، والعبءُ الأبهظ على عاتق المؤسسة؛ فهي التي تحتوي وتحمي وتنهض، لكونها جماعية التحرك والتوجه والمجابهة، وليست فردية عزلاء، أحادية السلاح، عُرضةً لتقلبات الفصول والأنواء والأهواء. وحتى يبقى مثقفنا المبدع معطاء، فإنه بحاجة إلى الحد الأدنى من الكفاية، والحماية، والرعاية، والتقدير، وايصال القطوف.»

أيضاً أُوردُ ما قاله د. عرسان في حديثه لمجلة **الحرية**[٢٣]، متمنياً لمؤسسة اتحاد الكتاب أن تبقى على ما عبر عنه د. عرسان في حديثه قائلاً: «نحن في اتحاد الكتاب نرفض الاعتراف بالعدو الصهيوني ونرفض أي شكل من أشكال تطبيع العلاقات، حتى لو اعترفت الأنظمة العربية جميعاً، بما في ذلك سورية (لا سمح الله) به، وقد أعلنّا ذلك مراراً».

أخيراً، لمّا كان قرار فصل أدونيس والدجاني قد أخذ أكثر من حجمه لدى مؤيدي القرار ومناهضيه، فإني أُذَكِّر بما قاله الأستاذ نزار سلوم عميد الثقافة والفنون الجميلة في الحزب السوري القومي الاجتماعي على صفحات **السفير**[٢٤]: «إننا نحذر من زيادة الإمعان في عمليات فرز وخندقة عناصر المشهد الثقافي، بشكل يجعلها تتجه لخوض «حرب أهلية ثقافية» بينما يمر المصير القومي برمته، في أدق مراحله وأخطرها. ولا يعني ذلك، بوجه من الوجوه، أننا ندعو إلى إلغاء حق الاختلاف وحالاته، بل ندعو إلى ارتقاء فني وأخلاقي خصوصاً في ممارسة هذا الحق، بشكل يجعله سبباً في ارتفاع درجة حيوية الفعل الثقافي العام».

حمص – سوريا

مناقشات (٢)

أدونيس والمحاججة الفقيرة

صبحي حديدي

نشرت **الآداب** (أيار حزيران ١٩٩٥) ردّ أدونيس على الردود الثلاثة التي سبق لمجلتكم أن نشرتها في عدد آذار – نيسان. وقد طالني ردُّ أدونيس في مسألتين: تقديمه لمختارات من نصوص الإمام محمد بن عبد الوهاب، والمقال الذي وقّعتُه مع الصديقين الدكتور صبري حافظ وكاظم جهاد. وأرجو أن تتحمّل **الآداب** المزيدَ من عبء هذا الحوار (الساخن أو العصبي بهذا القدر أو ذاك، ولكن المفيد في جميع الأحوال) فتتكرم بنشر ملاحظاتي هذه حول المسألتين.

أولاً، نصوص محمد بن عبد الوهاب:

لقد كنتُ، في حدود ما أعلم، أولَ من أثار حكايةَ اختيار أدونيس وخالدة سعيد وتقديمهما لنصوص الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وذلك في صحيفة **القدس العربي** اللندنية، بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٦. وقد تساءلت يومذاك عن أمرين:

١– كيف يبرر أدونيس إدراجَ عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب في فكر النهضة؟

---

٢٣ – ٥٨٥ / ٩٥.
٢٤ – ٩٥/٤/٦.